

آراء النقاد في نظرية النظم والتأصيل لها

مصطفى بشير محمد رمضان*

قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

Critics' Views on Systems Theory and Its Foundations

Mustafa Bashir Muhammad Ramadan*

Department of Arabic Language, Faculty of Education, Al-Marqab University, Al-Khums, Libya

*Corresponding author

m.b.ramadan@elmegib.edu.ly

*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 2025-10-15

تاريخ القبول: 2025-10-07

تاريخ الاستلام: 2025-07-03

الملخص

تُعَدُّ "نظرية النظم" التي أسَّسها العالم والبلاغي عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) في القرن الخامس الهجري، واحدة من أبرز النظريات النقدية والبلاغية العربية أصالة وعمقاً. لقد مثَّلت نقلة نوعية في فهم سرِّ جمال الكلام وإعجاز القرآن، محققة قفزة من دراسة عناصر الكلام المنفردة إلى دراسة النسق الكلي المُحكَّم الذي يربط هذه العناصر. فكرة النظرية المركزية باختصار هي أن جمال الكلام وبلاغته لا يكمنان في جمال الكلمات المفردة ولا في المعاني المجردة، بل يكمن السرُّ في "النَّظْم"، أي في الطريقة الخاصة التي تُركَّبُ بها هذه الكلمات وفقاً لنظام النحو وعلاقاته، لتنتج دلالةً جديدة ونفسية مؤثرة لا توجد في الكلمات منفردة. فالكلمات مثل اللَّبَنَات، وقيمة البناء لا تكمن في جودة اللَّبنة وحدها، بل في كيفية تركيبها لتشكّل بناءً متماسكاً جميلاً. وقد جاءت هذه النظرية كحصىلة ناضجة لتطور الفكر البلاغي العربي، وكمحاولَة جادة للإجابة عن السؤال الأزلي: "ما سرُّ بلاغة القرآن؟". فاثبت الجرجاني أن سرَّ الإعجاز ليس في "الصَّرْفَة" ولا في الغرابة اللفظية، وإنما هو في هذا النسق المعجز الذي لا يُقلَّد. وبهذا، قدَّمت "نظرية النظم" رؤيةً شموليةً متكاملة تربط بين اللفظ والمعنى والنحو والنفس الإنسانية، لتصبح نظريةً محوريةً أسست لمدرسة نقدية بلاغية متكاملة، لا تزال موضع إعجاب ودراسة إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: نظرية النظم، البلاغة العربية، إعجاز القرآن.

Abstract

The "Theory of Systems," founded by the scholar and rhetorician Abd al-Qāhir al-Jurjānī (d. 471 AH) in the fifth century AH, is one of the most original and profound Arabic critical and rhetorical theories. It represented a qualitative shift in understanding the secret of the beauty of speech and the miraculous nature of the Qur'an, achieving a leap from the study of individual speech elements to the study of the comprehensive, coherent system that connects these elements. The central idea of the theory, in brief, is that the beauty and eloquence of speech lie not in the beauty of individual words or in abstract meanings, but rather in the "articulation," that is, in the special way these words are composed according to the system of grammar and its relationships, to produce a new and influential psychological meaning not found in words alone. Words are like building blocks, and the value of a structure lies not in the quality of the block alone, but in how it is assembled to form a cohesive and beautiful structure. This theory emerged as a mature outcome of the development of Arabic rhetorical thought and as a serious attempt to answer the eternal question: "What is the secret of the Quran's eloquence?" Al-Jurjani proved that the secret of the miraculous nature lies not in its "morphology" or in its lexical strangeness, but rather in this miraculous, inimitable arrangement. Thus, the "Theory of Systems" presented a comprehensive, integrated vision that links wording, meaning, grammar, and the human soul, becoming a pivotal theory that established a comprehensive rhetorical critical school that remains a subject of admiration and study to this day.

Keywords: Theory of Nazm, Abdul-Qahir al-Jurjani, Quranic inimitability.

مقدمة:

تُعد نظرية النظم واحدة من أبرز الإسهامات في التراث البلاغي العربي، وهي نظرية ذات أبعاد جمالية وفنية عميقة تسعى إلى فهم النصوص الأدبية وتحليلها بأسلوب شامل ومتكامل. تتجاوز هذه النظرية مجرد البحث عن الجمال اللفظي أو الزخرفي في النصوص، لتشمل كيفية انسجام الكلمات والأفكار معاً لتحقيق المعنى المطلوب وإحداث التأثير العاطفي في نفس المتلقي. فهي ليست مجرد أداة لفهم الشعر والنثر، بل هي إطار شامل يجمع بين اللغة والفكر والإبداع الفني، مما يجعلها محوراً أساسياً في دراسة البلاغة العربية.

تعريف النظرية ودورها في فهم النصوص الأدبية:

تلعب دوراً محورياً في تفسير العلاقة بين الألفاظ والمعاني داخل النصوص الأدبية، حيث تؤكد على أهمية الترتيب والترابط بين الكلمات لتحقيق الوحدة العضوية التي تعكس الجمال والتأثير. إنها تقدم رؤية دقيقة حول كيفية اختيار الألفاظ المناسبة وترتيبها بطريقة متقنة بحيث تكون كل كلمة في مكانها الصحيح، وتؤدي دورها في إبراز المعنى العام للنص. ومن خلال هذا الترابط المحكم، يتمكن النص من تحقيق غايته الفنية سواء كانت إقناعاً، أو إمتاعاً، أو تعبيراً عن مشاعر وأفكار الكاتب.

أهمية دراسة النظرية:

النظم في كونها تمثل جسراً بين التراث البلاغي القديم والمناهج النقدية الحديثة. فقد كان للعلماء القدامى مثل عبد القاهر الجرجاني والزمخشري والسكاكي دور كبير في وضع الأسس الأولى لهذه النظرية، حيث ركزوا على تحليل النصوص من منظور لغوي وأدبي عميق. ومع مرور الزمن، واصل المتأخرون والمحدثون تطوير هذه النظرية لتواكب التغيرات الفكرية والثقافية، مما جعلها قادرة على التفاعل مع المناهج النقدية المعاصرة مثل النقد الأدبي الحديث والنقد الثقافي.

إن دراسة النظم عند القدامى والمتأخرين تكشف لنا عن التطور الذي شهدته هذه النظرية عبر العصور، وكيف استطاعت أن تظل ذات صلة وثيقة بالدراسات الأدبية والنقدية حتى يومنا هذا. فمن خلال تتبع مراحل تطور هذه النظرية، يمكننا فهم كيف ساهمت في تشكيل الهوية البلاغية العربية، وكيف استفاد منها العلماء والمفكرون في تحليل النصوص الشعرية والنثرية وبيان جمالياتها. كما تساعدنا هذه الدراسة على تقدير الجهود التي بذلها العلماء المسلمون في تطوير علم البلاغة، وإدراك الدور الذي لعبته نظرية النظم في تفسير الإعجاز القرآني وتحليل الشعر العربي القديم.

بهذا الشكل، يصبح من الواضح أن نظرية النظم ليست مجرد فكرة نظرية مجردة، بل هي أداة عملية تسهم في فهم النصوص الأدبية بشكل أعمق وأكثر شمولية. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى استعراض أصول نظرية النظم عند القدامى، واستعراض تطورها عند المتأخرين والمحدثين، بهدف تسليط الضوء على هذا الجانب المهم من التراث البلاغي العربي وبيان دوره في تطور الفكر النقدي والأدبي.

التمهيد والتعريف بالنظم لغة واصطلاحاً:

التمهيد:

ويتناول هذا البحث معرفة نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني وكيفية تحليل النص الأدبي تحليلاً لغوياً وبلاغياً، والوقوف على مواطن الجمال والقبح فيه من خلال تلك التراكيب المنظمة، والمعايير اللغوية المستمدة من علوم البلاغة، وقواعد النحو العربي، وبيان الأسس المكونة لنظرية النظم من خلال الكلمة وضمها إلى أختها والمسمى عند علماء اللغة والنحو بالاتساق وطبيعة الملازمة والموائمة مع التعابير العربية، وكيفية التأثير في المتلقي، وبعض من آراء النقاد العرب في هذه النظرية، ومعناها ملازمة الكلام لمعاني النحو، وتركيبها تركيباً يجعل من العملية الإبداعية أن تكتمل، وطرح آراء العلماء سواء القدامى أم المحدثين في مكانة هذه النظرية في المكونات التركيبية الجمالية في أدبنا العربي. ويسهم هذا البحث في معرفة الأحوال التي تطرأ على الكلمة في تركيبها وترتيبها مع الإشارة التي تجعل من المتلقي لديه فاعلية التأثير.

وتعتبر هذه الدراسة محاولة لتبسيط فكرة الترتيب الجملي عند أوائل النقاد العرب، ثم من جاء بعدهم من النقاد المحدثين، مع بيان المنهج المتبع في عرض مكونات هذه النظرية من أحوال حذف أو ذكر أو إيجاز أو إطناب أو تقديم أو تأخير على منهج علمي، ودراسات سابقة، ومحاولات تقريب مستويات التركيب الجملي في العبارة البلاغية.

حيث تُعد كتابات الجرجاني " أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز " من أهم مؤلفاته التي كان من خلالها فك الصراع والخلاف بين المهتمين بهذه الدراسات البلاغية والبيانية، وبذلك كانت نظرية النظم اللبنة الأخيرة في قضية اللفظ والمعنى ورسم معالم الإعجاز القرآني.

النظم لغة:

تعريف النظم عند أهل اللغة: ((النظم: التأليف، نظمه ينظمه نظماً ونظاماً ونظمه فانتظم وتنظم. ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل. وكل شيء قرنته بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض، فقد نظمته. والنظم: المنظوم، وصف بالمصدر. والنظم: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما، واحدته نظمة. ونظم الحنظل: حبه في صيصائه. والنظام: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه وأصل نظام. ونظام

كل أمر: ملاكه، والجمع أنظمة وأناطيم ونظم. الليث: النظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد)) (1). وهذا يعني في كتب اللغة الاتساق والانتلاف والترتيب والتناسب بين الأجزاء.

النظم اصطلاحاً:

على صعيد الاصطلاح البلاغي، يكتسب مصطلح "النظم" بعداً أكثر تعقيداً وعمقاً، فهو: ((تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل)) (2).

ويعرفه الجرجاني بقوله: ((إعلم أن ليس "النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تُخل بشيء منها)) (3). وتعرفه سناء البياتي بقولها: ((المعاني الذهنية التي تتولد في فكر المتكلم عند نظم الجمل، وتنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها، وفي حالة فقدانها يصبح الكلام نوعاً من الهذيان)) (4).

وهي نظرية وضعها الامام عبد القاهر الجرجاني لدراسة النص الأدبي ومعرفته بتحليله لغوياً وبلاغياً وأيضاً سير أغواره والوصول الى كنهه جودة أو رداءة على نهج الملائمة بين التكوين اللغوي والفهم العقلي، وهذا يعني توافق العلاقات اللغوية في تركيب منظوم وانتلاف متلائم، وهذا الانسجام والتناسب بين عناصر الجملة يستندان الى علاقة الجوار والاختيار التي تحقق شرف منزلة المعنى ومكانته.

أصول النظرية عند القدامى ومعادلة الاتساق والانتلاف كما يراها الجرجاني:

كان لنظرية النظم اجتهادات سابقة للجرجاني وهذا يعني مبدأ التأثير والتأثر فيمن جاء قبله وبعده. وقد استفاد عبد القاهر الجرجاني من جهود سابقه كابن المقفع وابن قتيبة والقاضي عبد الجبار وغيرهم في تحديد مفهوم النظم.

ابن المقفع ت 142هـ:

تعد دراسة ابن المقفع أول إشارة يفهم من خلالها تلك النظرية وهي حقيقة النظم، وذلك من خلال كلامه عن صياغة الكلام، حيث يقول: ((فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل، وأن يقولوا قولاً بديعاً، فليعلم الواصفون المخبثون أن أحدهم، وإن أحسن وأبلغ، ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص؛ وجد ياقوتاً، وزبرجداً ومرجاناً، فنظمه قلاند وسموطاً وأكالييل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه، وما يزيده بذلك حسناً، فسمي بذلك صانعاً رفيعاً، وكصاغة الذهب والفضة، صنعوا منها ما يعجب الناس من الحلي والأنيّة، وكالنحل؛ وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة، وسلكت سبلاً؛ جعلها الله ذلاً، فصار ذلك شفاء وطعاماً، وشراباً منسوباً إليها، مذكوراً بها أمرها وصنعها)) (5).

ابن قتيبة الدينوري (276هـ):

يُعد ابن قتيبة من أوائل العلماء الذين كتبوا في البلاغة العربية، ومهدوا لنظرية النظم التي طورها بعده الجرجاني، لكنه لم يستخدم مصطلح اعجاز القرآن بنفس الطريقة البلاغية التي عالجها الجرجاني في كتابه. ومن مؤلفاته كتاب "تأويل مشكل القرآن"، الذي يُعتبر من أوائل الأعمال التي حاولت تفسير الإعجاز القرآني من منظور لغوي وأدبي. حيث يرى ابن قتيبة أن الإعجاز القرآني يكمن في السياق العام للنص، وليس في الكلمات فقط، فهو أول من أشار إلى أهمية السياق في فهم النصوص، ومن الأمثلة التي أوردها المؤلف على نسقية الألفاظ والمعاني قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ (6). فتراه يقول ان الكلمة الطيبة ثابتة في قلب المؤمن كما أن الشجرة الطيبة ثابتة في الأرض، وبهذا التمثيل يكون جمال الايمان في النفس، وثماره في القول والعمل، وامتداده في الحياة.

القاضي عبد الجبار ت 415هـ:

تعد إشارات القاضي عبد الجبار من أهم المرتكزات التي أخذ بها الجرجاني واتكأ عليها وذلك عند حديثه عن الفصاحة والبلاغة ويرى أنهما في ضم الكلمات تركيباً وترتيباً لتعطي العبارة مسألة التأثير في المتلقي حيث يقول: ((أعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع)) (7).

عبد القاهر الجرجاني:

عبد القاهر الجرجاني يُعد من أعظم علماء البلاغة العربية، وأحد الرواد الذين وضعوا الأسس الأولى لنظرية النظم. كان دوره حاسماً في تطوير الفكر النقدي العربي، حيث قدم رؤية شاملة للبلاغة تعتمد على الترتيب والتنسيق بين الألفاظ

- 1 لسان العرب مادة (نظم)
- 2 كتاب التعريفات، علي بن محمد بن الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983م: 242.
- 3 دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مطبعة المدني، جدة، الطبعة الثالثة، 1992م: 81.
- 4 قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2003م: 18.
- 5 الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، قرأ وعلق عليه، وائل بن حافظ بن خلف، دار ابن القيم بالإسكندرية، د/ط: 22.
- 6 سورة إبراهيم، الآية: 24.
- 7 دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 48، وينظر، النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل عبد الرازق، دار الطباعة المحمدية القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1983م: 71، أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، 1980م: 71، والمعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد المعروف بابي زهرة، دار الفكر العربي: 92.

والمعاني لتحقيق المعنى الجمالي والإبداعي. اشتهر بمؤلفاته التي أصبحت مرجعاً أساسياً في دراسة البلاغة، مثل: دلالات الإعجاز وأسرار البلاغة.

حياته العلمية وأعماله:

ولد عبد القاهر الجرجاني في بلدة جرجان في القرن الخامس الهجري، وتلقى تعليمه في بغداد، حيث نهل من علوم اللغة والأدب والفقه. كان له تأثير كبير في تفسير الإعجاز القرآني وتحليل الشعر العربي القديم. من أشهر أعماله: دلالات الإعجاز وفيه يناقش الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وأسرار البلاغة، وفيه يتناول مفاهيم البلاغة ودور النظم في تحقيق الجمال الأدبي.

وفي كلا الكتابين وبشكل موسع أكد الجرجاني أن الإعجاز القرآني لا يكمن فقط في جمال الكلمات أو الزخرف اللفظي، بل في التنسيق المتقن بين الألفاظ والمعاني الذي يحقق المعنى العام بطريقة فريدة. أما في "أسرار البلاغة"، فقد ركّز على فهم الشعر العربي القديم من خلال تحليل النظم، حيث شرح كيف يمكن للكلمة البسيطة أن تتحول إلى عنصر مؤثر عندما توضع في سياقها المناسب.

مفهوم "النظم" عند الجرجاني وكيفية تطبيقه:

يرى الجرجاني أن النظم هو "روح الكلام"، وهو الأساس الذي يمنح النص قيمته البلاغية. فالنظم ليس مجرد ترتيب للكلمات، بل هو فن دقيق يعتمد على اختيار الألفاظ المناسبة وتنسيقها بما يخدم المعنى العام. يقول الجرجاني: إنما البلاغة هي أن تضع كل كلمة في مكانها المناسب.

إضافة أمثلة من الشعر العربي القديم (مثل شعر امرئ القيس وعنترة بن شداد) لتوضيح أفكار الجرجاني، قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل (8)

يوضح الجرجاني في هذا البيت كيف أن تنسيق الكلمات يعكس الصورة البيانية بدقة، حيث ترتبط الألفاظ مع بعضها البعض لتعكس مشهداً حزيناً مليئاً بالحنين. ومن ذلك أيضاً قول عنترة بن شداد:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّماحَ نَواهِلُ، ... مَنِّي وَبِيضُ الهِنْدِ تَقَطَّرُ من دَمِي (9)

فنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني تؤكد أن بلاغة الكلام لا تقوم على اللفظ المفرد، بل على طريقة نظمه، وذلك بترتيب الكلمات وعلاقاتها ببعضها البعض، وتآلفها بما يخدم المعنى المقصود، وفي هذا البيت ينظمه عنترة نظماً بحيث يبقى صورة الرماح وهي تغوص في جسده، وبذلك تزداد الصورة المؤثرة التي أرادها الشاعر.

معادلة الاتساق والاتساق في الدرس البلاغي:

تحليل مفهوم "الاتساق" و"الاتساق":

الاتساق: يشير إلى التناسق الداخلي بين الألفاظ والمعاني، بحيث تكون الكلمات مرتبطة ببعضها ببعض بطريقة طبيعية ومتناغمة.

الاتساق: يعني الائتلاف والتناسب بين الأجزاء ورد تلك المعاني إلى مدلولها الأصلي، بحيث يكون الكلام مترابطاً وخالياً من أي انقطاع أو تشويش (10).

أمثلة أدبية توضح كيفية تحقيق الاتساق والاتساق في النصوص:

في القرآن الكريم، قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (11)، يظهر الاتساق في كيفية ربط الألفاظ (السما، بنيناها، بأيدي) مع المعنى العام (قدرة الله). أما الاتساق فيظهر في استمرارية السياق دون انقطاع.

في الشعر العربي، قول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا (12)

حيث يتجلى الاتساق في هذا البيت في الإحالة الضميرية (أنت) التي تتكرر لتربط الشطر الأول بالثاني، وضمير الغائب في ملكته وأكرمت يعود على الكريم واللئيم في تسلسل منطقي يخلق تماسكا دلاليا يظهر في تنسيق الكلمات، بينما الاتساق يظهر في التسلسل المنطقي للأفكار.

البديع الزمخشري (538 هـ):

يُعد الزمخشري من أهم العلماء الذين طوروا نظرية النظم وأسهموا في تطبيقها على النصوص الأدبية والقرآنية. كان له تأثير كبير في مجال البلاغة والتفسير، خاصة من خلال كتابه "الكشاف".

شرح كتابه "الكشاف" وتأثيره على التفسير البلاغي:

ركز الزمخشري على تفسير القرآن الكريم من منظور بلاغي، حيث تناول الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن. استخدم نظرية النظم لتحليل الآيات القرآنية، مما جعل كتابه مرجعاً مهماً في التفسير البلاغي.

8 ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 2004م: 14.

9 ديوان عنترة، شرحه وضبطه وقدم له، علي العسيلي، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998م: 17.

10 ينظر: دلالات الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ط3، 1992م، ص43.

11 سورة الذاريات، الآية:

12 ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م: 372..

إسهاماته:

ومن اسهامات الزمخشري تحليله لكيفية تطبيق النظم في تفسير القرآن الكريم حيث يرى أن النظم هو العنصر الأساسي في فهم النصوص القرآنية. فهو يؤكد أن الكلمات القرآنية ليست مجرد ألفاظ، بل هي مجموعة من الأفكار المنسجمة التي تبرز المعنى العام بطريقة فريدة.

أمثلة من "الكشاف" توضح التناسق بين الألفاظ والمعاني في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (13) يوضح الزمخشري كيف أن ترتيب الكلمات يبرز المعنى العميق للآية، حيث يرتبط "الماء" بالحياة بطريقة مباشرة. وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ (14). يشرح الزمخشري كيف أن التناسق بين الألفاظ (الليل، النهار) يعكس المعنى الجمالي للآية.

ابن الأثير الجزري (637 هـ):

ألف ابن الأثير كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، الذي يتناول البلاغة من منظور عملي.

إسهاماته:

ومن اسهاماته تحليل كيفية ربط الفكرة بالأسلوب لتحقيق التوازن حيث يرى ابن الأثير أن النظم يتحقق عندما يتم ربط الفكرة بالأسلوب بطريقة متوازنة، أمثلة من الكتاب توضح التناسب بين الألفاظ والمعاني، وهو يؤكد جودة الكلام في قوله: "فإن أحسن الكلام ما تساوى لفظه ومعناه، وكان صحيح السبك، متين النسيج، واضح الدلالة على ما أريد به" (15).

وهذا يعني أن جمال الكلام لا يكمن في زخرفة الألفاظ وحدها ولا في عمق المعنى وحده بل في التوازن بينهما، فهذه الفكرة بداية نظرية النظم عند الجرجاني، لكن ابن الأثير يطرحها في سياق أدبي عام، يركز على صناعة الكاتب والشاعر.

القزويني (739 هـ):

ألف القزويني كتاب "الإيضاح في علوم البلاغة"، الذي يتناول فيه البلاغة من منظور نقدي.

إسهاماته:

ومن اسهاماته تحليل مفهوم "المناسبة" بين الألفاظ والمعاني حيث يرى القزويني أن البلاغة تعتمد على العلاقة الوثيقة بين الألفاظ والمعاني. وبذلك لا يمكننا فهم المعنى الصحيح للكلمة إلا بالنظر إلى الجملة أو الموقف الذي وردت فيه. أمثلة من الكتاب توضح أهمية السياق، قوله زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ لَا يَذُّدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ (16)

فنظرية النظم عند القزويني تأثرت بالجرجاني لكنها انصبحت على ارتباط النظم بالسياق والمقام، فأصبح الحسن في الكلام ليس فقط من ترتيب الألفاظ، بل من مطابقة ذلك الترتيب لمقتضى الحال.

النظم في علم المعاني، البيان، والبديع:

النظم في علم المعاني:

يُعتبر النظم جوهرًا أساسيًا لتحقيق الترابط بين الألفاظ والمعاني. فالنظم لا يقتصر على مجرد اختيار الكلمات المناسبة فقط، بل يتعدى ذلك إلى ترتيبها بطريقة تخدم المعنى العام للنص وتبرزه بشكل أوضح وأكثر تأثيرًا. يعتمد النظم في هذا العلم على تحقيق التناسب بين الكلمة ومعناها، بحيث تكون كل كلمة في مكانها الصحيح، وتؤدي دورها في إبراز الفكرة العامة للنص.

وبذلك يؤكد الجرجاني أن الفضيلة لا تكون في الألفاظ المفردة، وإنما يحصل لها ذلك التفاضل وتلك القيمة عند نظمها وتأليفها واتساقها حيث يقول في هذا المعنى ((فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها)) (17). ثم جاء من بعده الجرجاني الذي وضع تلك النظرية، وسماها "نظرية النظم" وضعا متكاملًا، واليها يرجع الفضل في تطور علوم البلاغة العربية.

ويعد الجرجاني من مؤسسي علوم البلاغة العربية وخاصة عند حديثه عن الترابط القوي بين المكتوب اللغوي والمقصود العقلي في قوله: (("نظم الكلم" فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تتفي في نظمها آثار المعاني، وتأثيرها على حسب ترتب المعاني في النفس)) (18).

وقبل أن يؤصل الجرجاني لنظريته في مؤلفه دلائل الاعجاز فإنه ذكر عدة مراحل ومنها حديثه عن فضل العلم والفصاحة والبلاغة ثم يأتي إلى حصرها في قوله: ((اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم

13 سورة الأنبياء، الآية: 30.

14 سورة الليل، الآية: 1، 2.

15 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طيبانه: 93/1.

16 ديوان زهير بن أبي سلمى، أعتنى به وشرحه عبدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2005م: 70.

17 دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، مطبعة المدني بجدة، الطبعة الثالثة،

1992م: 44.

18 نفسه: 49.

النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجها التي تُهَجَّتْ ؛ فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك ، فلا تُخل بشيء منها)) (19).

اختيار الكلمات: يجب أن تكون الكلمات ملائمة للمعنى المطلوب، بحيث تعكس الدقة والوضوح.
ترتيب الكلمات: الترتيب يلعب دوراً حاسماً في فهم النص. الكلمة التي تُوضع في غير مكانها قد تؤدي إلى تشويش المعنى أو فقدانه.

التناغم بين الأفكار: النظم يحقق التناغم بين الأفكار المختلفة داخل النص، مما يجعله أكثر تماسكاً وتأثيراً.

أمثلة من الشعر والنثر توضح العلاقة بين الألفاظ والمعاني:

في الشعر: قول امرئ القيس:

"فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (20)

النظم في هذا البيت يظهر في كيفية اختيار الألفاظ (مثل "فقا"، "ذكرى"، "تلوح") لتعكس الحزن والحنين إلى الماضي. الترتيب الدقيق للأفكار يجعل الصورة البيانية واضحة وملينة بالمشاعر .

في النثر: في القرآن الكريم، قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (21) فالنظم في الآية يظهر في اختيار الألفاظ مثل: "بنيناها"، "بأيدي" وترتيبها بطريقة تبرز قدرة الله وعظمته .

النظم في علم البيان:

دور النظم في الصور البيانية (التشبيه، الاستعارة، الكناية):

يلعب النظم دوراً محورياً في علم البيان، من حيث إبراز الصور البيانية (التشبيه، الاستعارة، الكناية) وجعلها أكثر جمالاً وتأثيراً. فالصور البيانية تحتاج إلى تنسيق دقيق بين الألفاظ والمعاني لتكون ذات تأثير فني عميق. النظم هنا يساعد على ربط الصورة البلاغية بالسياق العام للنص، مما يزيد من جمالية التعبير.

التشبيه: النظم يبرز العلاقة بين المشبه والمشبه به، ويختار الألفاظ التي تعزز هذه العلاقة.

الاستعارة: النظم يجعل الاستعارة أكثر وضوحاً وتأثيراً من خلال ترتيب الكلمات والأفكار بطريقة تخدم المعنى المقصود.

أمثلة من الشعر العربي توضح جمال الصور البيانية:

التشبيه: قول المتنبي:

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ (22)

لا يتضمن هذا البيت تشبيهاً تقليدياً بلفظ الكاف أو مثل، لكنه قائم على تشبيه ضمني، إذ يشبه ذم الناقص لغيره بشهادة على كماله، كأنما يقول، ذم الناقص لي كشهادة لي بالكمال، وهذا يعني أن نقد غير المؤهلين لا ينقص من قيمة العظماء بل يزيدهم رفعة وسمو.

الكناية: قول زهير بن أبي سلمى:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَلَوْ خَالَهَا تَحْقَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ (23)

فالصورة البيانية في قوله (وان خالها تخفي على الناس تعلم) كناية على أن الطبع يغلب التطبع، والناحية الجمالية البيانية فيها هي عمق الحكمة المتضمنة في الكناية، وهذا يعطي البيت بعداً أخلاقياً وفلسفياً رصيناً.

النظم في علم البديع:

كيفية استخدام الزخارف البلاغية (الطباق، الجناس، التورية):

يُستخدم النظم في علم البديع لتنظيم الزخارف البلاغية (مثل الطباق، الجناس، التورية) بطريقة لا تخل بالمعنى، بل تعززه وتزيده جمالاً. الزخارف البلاغية هي أدوات تجميلية تضيف لمسة فنية للنص، لكنها تحتاج إلى تنسيق دقيق لتحقيق الغرض الفني المطلوب.

الطباق: النظم يبرز العلاقة بين المتناقضات (مثل الخير والشر، الحياة والموت)، مما يعزز المعنى ويجعله أكثر تأثيراً.

الجناس: النظم ينظم الكلمات المتجانسة بحيث تضيف جمالاً صوتياً للنص دون تشويش المعنى.

التورية: النظم يستخدم الكلمات ذات الدلالات المتعددة لإضافة عمق للمعنى.

أمثلة من الشعر والنثر توضح تأثير هذه الزخارف:

الطباق: قول المتنبي:

"وما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن (24)

19 نفسه: 81.

20 ديوان امرئ القيس، أعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية، 2004م: 14.

21 سورة الذاريات، الآية: 47.

22 ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1983م: 180.

23 ديوان زهير بن أبي سلمى: 70.

24 ديوان المتنبي: 472.

يبرز النظم في هذا البيت التباين بين الأمنيات والواقع (يتمنى/لا يدركه)، مما يعزز المعنى ويضيف إليه عمقا. وبذلك يعبر البين عن حكمة وجودية عميقة، مفادها أن الإنسان لا يحقق كل ما يتمناه، فكما أن السفن تسير باتجاه الريح، ولو كانت ضد رغبتها، فإن الحياة تجري وفق سنن لا تراعي بالضرورة رغبات البشر.

الجناس: قول ابن الرومي:

"إذا غامرت في شرف مروم فلا تنقع بما دون النجوم" (25)
النظم ينظم الكلمات المتجانسة (شرف/مروم، دون/نجوم) لإضافة جمالية صوتية.

النظم عند المتأخرين والمحدثين:

النظم عند المتأخرين:

ابن رشيق القيرواني 456 هـ:

يرى ابن رشيق القيرواني أن النظم ليس مجرد ترتيب للكلمات، بل هو فن إبداعي يعتمد على قدرة الشاعر أو الكاتب في التعبير عن أفكاره بطريقة متقنة ومبتكرة. فهو يؤكد أن النظم يتطلب مواهب فطرية إلى جانب المهارات المكتسبة. بناءً على ذلك، يعتبر النظم عملية خلق جمالية تعتمد على الإبداع الشخصي والحس الفني.

أمثلة من كتاباته توضح دور الموهبة الفطرية في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، يوضح ابن رشيق كيف أن الشاعر يحتاج إلى موهبة فطرية تجعله قادراً على اختيار الألفاظ المناسبة وتنسيقها لتحقيق الجمال. يقول: إنما الشعر صناعة قائمة على الفطرة، فلا يصلح إلا بفطرة سليمة وموهبة طبيعية. وهو ما يؤكد الجاحظ في كتابه حيث يقول: "فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسخ، وجنس من التصوير" (26) يبرز ابن رشيق كيف أن المتنبي استخدم موهبته لترتيب الكلمات والأفكار بطريقة تعكس الجمال والتأثير.

السكاكي 626 هـ:

يضيف السكاكي إلى نظرية النظم عنصراً جديداً وهو "القصد". فهو يرى أن النظم يجب أن يكون له غرض واضح يخدم المعنى العام للنص. النظم ليس مجرد زخرفة لفظية، بل هو أداة لتحقيق هدف معين سواء كان إقناعاً، إمتاعاً، أو تعبيراً عن مشاعر وأفكار، حيث يناقش السكاكي كيفية استخدام النظم لتحقيق الغرض البلاغي في أن الكلام الجيد هو الذي ينسجم فيه القصد مع الألفاظ والمعاني، وهو معنى الاعتدال عنده في استخدام الألفاظ والمعاني، بحيث يتوازن ما بين الشكل والمضمون في النص الأدبي. حيث يظهر دور القصد في النظم من خلال تنسيق الكلمات والأفكار لتحقيق التأثير المطلوب لدى منشي النص وكتابه (27).

النظم عند المحدثين:

شكلت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني منعطفاً حاسماً في الدراسات البلاغية والنقدية العربية، حيث نقلت النقاش من الانزياحات اللفظية إلى البنية الدلالية والعلاقات التركيبية للنص، وإذا كانت هذه النظرية قد حظيت باهتمام بالغ لدى القدماء فإن النقاد المحدثين تعاملوا معها بمنهج متنوع، بين مؤصل لها في إطار لساني حديث، وناقد لها في ضوء المناهج الغربية المعاصرة. حيث يرى محمد مندور أن: "المهم في اللغة ليس الألفاظ بل مجموعة الروابط التي نقيمها بين الأشياء بفضل الأدوات اللغوية، وتلك الروابط هي المعاني المختلفة التي نعبر عنها ومن ثم كانت أهميتها وما لها من صدارة على الألفاظ (28)، ويرى أيضاً أن النظم هو القدرة على خلق التناسق بين الألفاظ والأفكار بما يحقق التأثير الفني، وربط العناصر المختلفة في النص حتى تعزز المعنى وتزيد من جماله.

حيث يصف مندور عبد القاهر الجرجاني بأنه "أول من وضع للنقد العربي منهجاً علمياً يقوم على تحليل النص وتفسير العلاقات بين ألفاظه ومعانيه (29) ويوضح مندور كيف أن النظم يلعب دوراً أساسياً في تحقيق الجمال الفني، وأن النظم هو الذي يجعل النص أدبياً، فهو الذي يخلق الوحدة بين الألفاظ والمعاني.

مصطفى صادق الرافعي:

وقد تحدث عن مسألة النظم وكيفية التناغم بين الألفاظ والمعاني وربطهما حيث يعطي ذلك التناغم أصولاً في النص، حيث يقول: ((فمن هنا تعلق بعضه على بعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة اعجازه في جملة التركيب كما عرفت)) (30).

قد حرص الرافعي على الأصل اللغوي في الإعجاز؛ لأنه كان أخذاً نفسه بالكشف عن أسرار النظم الموسيقي في القرآن، وعن الرافعي عناية كبيرة بالنظم القرآني، حيث يقول: " أنه مما لا يتعلق به أحد ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه، لترتيب حروفه باعتبارها من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعض، في الهمس والجهر، والشدة والرخاء

25 نفسه: 232.

26 كتاب الحيوان للجاحظ: 131/3، 132.

27 ينظر، مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، حققه وقدم فهارسه، عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000م: 251 وما بعدها.

28 النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، الطبعة الثانية، 1965م: 335.

29 نفسه: 66.

30 تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، 225/2.

والتفخيم والترقيق⁽³¹⁾، ويعلق صبحي الصالح بقوله: ((ولقد كان الاعجاز القرآني خليقا أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية، يتصدى بها العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية وعن أسلوب القرآن الفذ في التصوير والتعبير))⁽³²⁾

يشير صبحي الصالح إلى أن العلماء المسلمين قديما ركزوا على تحليل النصوص القرآنية منفردة، دون الوصول إلى نظرية شاملة تفسر الاعجاز البياني للقرآن وهذا ما تجاوزه عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، التي قدمت أطارا منهجيا لتحليل العلاقات بين الكلمات والجمل في النص.

وهذا هو منهج عبد القاهر وطريقة فهمه للنحو وفيه ترى أنه لا يقف بالنحو عند الحكم في الصحة والخطأ، بل بعده إلى تحليل الجودة وعدمها حتى ليدخل في ذلك أشياء استقر فيما بعد أن يجعلوها من المعاني كمسألة التقديم والتأخير (33).
تطور النظم في النقد الحديث:

مع تطور المناهج النقدية الحديثة، أصبح النظم جزءا أساسيا من التحليل النقدي. فالنقاد المعاصرون يعتمدون على النظم لفهم البنية النصية والعلاقة بين عناصر النص المختلفة. أصبحت نظرية النظم أداة أساسية في تحليل النصوص الأدبية من منظور حديث يأخذ في الاعتبار العوامل الثقافية والاجتماعية.

شرح دور البنية النصية والسياق الثقافي في تحليل النظم:
البنية النصية: يركز النقاد المعاصرون على تحليل العلاقات الداخلية بين عناصر النص، مثل العلاقة بين الألفاظ والمعاني، والترابط بين الأفكار.

السياق الثقافي: يدرس النقاد النظم في ضوء البيئة الثقافية والاجتماعية التي أنتجت النص، مما يساعد في فهم المعنى بشكل أعمق.

أمثلة عملية على النظم:

النظم في الشعر العربي القديم: المعلقة كنموذج:

من بين أبرز الأمثلة التي تظهر جمالية النظم في الشعر العربي القديم نجد "المعلقة"، التي تمثل قمة الفن الشعري في العصر الجاهلي. ومن أشهر هذه المعلقة، معلقة امرئ القيس وتُوصفها الغنية بالصور البيانية والترابط العضوي بين الألفاظ والمعاني.

معلقة امرئ القيس:

تبدأ المعلقة ببيت شهير:

قفا نبيك، من ذكرى حبيب، ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول، فحَمَل⁽³⁴⁾

هذا البيت يعكس جمالية النظم من خلال تنسيق الألفاظ بطريقة تعكس الحزن والحنين إلى الماضي. كلمة "قفا" هي دعوة للوقوف والتأمل، وهي بداية مؤثرة تجذب المتلقي. ثم يأتي وصف المنزل بمفردات دقيقة مثل "بسبحة" و"تلوح"، مما يجعل الصورة مرئية أمام العين. أما تشبيه المنزل بـ"باقي الوشم في ظاهر اليد"، فهو صورة بيانية تبرز عمق التأثير العاطفي. هنا يتحقق الانساق من خلال ربط الكلمات مع بعضها البعض بحيث تكون كل كلمة في مكانها المناسب، بينما يتحقق الاتساق من خلال استمرارية السياق العاطفي الذي يعبر عن الحنين والأسى.

إضافة إلى ذلك، فإن الترتيب الدقيق للأفكار في المعلقة يعكس الترابط العضوي بين مقاطعها المختلفة. فبعد الحديث عن الذكريات، ينتقل الشاعر لوصف الرحلة والمغامرات، مما يجعل النص مترابطاً ومتناسكاً. هذا التنظيم يعكس فهم امرئ القيس العميق لأهمية النظم في تحقيق التأثير الفني.

معلقة عنتر بن شداد:

يقول عنتر في مطلع معلقته:

"هل غادر الشعراء من مَنَزَمٍ ... أم هل عرفت الدار بعد توهّم؟"⁽³⁵⁾

يظهر النظم في اختيار الألفاظ القوية مثل "غادر" و"منَزَمٍ"، التي تعبر عن العناد والفخر. كما أن استخدام الاستفهام في بداية النص يثير انتباه المتلقي ويضعه في حالة من التفاعل مع النص. ثم يأتي وصف الشاعر لحبيبته عيلة وللبطولات التي حققها، مما يجعل النص مليئاً بالصور البيانية والمشاعر القوية. الانساق يظهر في كيفية ربط الألفاظ (مثل "الشعراء"، "الدار") مع المعنى العام، بينما يتحقق الاتساق من خلال استمرارية الفكرة التي تجمع بين الحب والفروسية⁽³⁶⁾.

النظم في النثر العربي: القرآن الكريم كمثال:

القرآن الكريم هو أعلى مثال على تحقيق النظم في النثر العربي. فهو يعتمد على الترتيب المتقن للكلمات والأفكار لتحقيق المعنى والإعجاز البلاغي. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، هذا النص يعكس جمالية النظم من خلال اختيار الألفاظ مثل "بَنَيْنَاهَا" و"بِأَيْدٍ"، التي تعبر عن قدرة الله وعظمته. الترتيب هنا

31 نفسه 2/225

32 مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، 1965م: 313.

33 ينظر، النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، 336، 337.

34 ديوان امرئ القيس، مرجع سابق: 14.

35 ديوان عنتر، شرحه وضبطه وقم له، علي العسيلي، مؤسسة النور للطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998م: 11.

36 الادب العربي في الجاهلية والإسلام، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1981م. 34-37.

ليس عشوائياً، بل مدروس بحيث يبرز المعنى العام للآية. الانساق يظهر في العلاقة بين الكلمات (مثل "السماء"، "بنيناها"، "بأيدٍ")، بينما يتحقق الاتساق من خلال استمرارية السياق الذي يتحدث عن قدرة الله الخالقة.

تحليل النظم في الشعر والنثر:

شعر المتنبي:

يقول المتنبي في أحد أبياته:

وَوَضَعَ النَّدى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى مُضِرٌّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدى (37)

يتجلى الترتيب المعنوي والدلالي، حيث تقابل لفظ الندى "العطاء" مع السيف "القوة" ويعتمد البيت على السياق والمعنى، لا على مجرد الألفاظ، حيث يظهر النظم في التقديم والتأخير والمقابلة بين وضعين مختلفين ليكون المعنى العميق، ويعطي القوة المنطقية والشعرية، وهذا يتوافق مع مبدأ الجرجاني بأن اللفظة تكتسب قيمتها من السياق الذي توضع فيه لا من ذاتها.

نثر ابن المقفع:

في كتاب "كلیلة ودمنة"، يقول ابن المقفع:

((إنما الكلام كالذو إن أحسن استعماله نفع، وإن أسى استعماله ضرر)) (38)

هذا النص يعكس النظم في النثر من خلال اختيار الألفاظ البسيطة ولكن المؤثرة مثل "الكلام" و"الدواء". الترتيب هنا يخدم المعنى العام، حيث يتم ربط فكرة الكلام بالدواء لإبراز أهمية التعبير الصحيح. الانساق يظهر في كيفية ربط الألفاظ (مثل "الكلام"، "الدواء") مع المعنى العام، بينما يتحقق الاتساق من خلال استمرارية الفكرة التي تتحدث عن أهمية الكلام.

شرح كيفية تحقيق الاتساق في هذه النصوص:

الانساق يتحقق عندما تكون الكلمات مرتبطة ببعضها ببعض بطريقة طبيعية ومتناغمة. في الشعر والنثر، يتم ذلك من خلال اختيار الألفاظ المناسبة وتنسيقها بحيث تكون كل كلمة في مكانها الصحيح. على سبيل المثال، في شعر امرئ القيس، يتم ربط الألفاظ مثل "يفاً" و"ذكرى" و"الوشم" بطريقة تعكس الحزن والحنين. هذا التنسيق يجعل النص مترابطاً ومتكاملاً. أما الاتساق، فيتحقق عندما يكون هناك استمرارية وتسلسل منطقي للأفكار والمعاني. في القرآن الكريم، يتم ذلك من خلال استمرارية السياق الذي يتحدث عن قدرة الله ورحمته. في الشعر، مثل شعر المتنبي، يتم تحقيق الاتساق من خلال استمرارية الفكرة التي تجمع بين البحر والمجد.

الخاتمة:

تُعد نظرية النظم واحدة من أبرز الإسهامات في التراث البلاغي العربي، وهي نظرية ذات أبعاد جمالية وفنية عميقة تسعى إلى فهم النصوص الأدبية وتحليلها بأسلوب شامل ومتكامل. عبر هذا البحث، تم استعراض مفهوم النظم لغةً واصطلاحاً، وأهميته في تحقيق التناسق والترابط بين الألفاظ والمعاني، مما يجعل النصوص الأدبية أكثر تأثيراً وإبداعاً. كما تم تسليط الضوء على دور النظم في فروع البلاغة الثلاثة: علم المعاني، البيان، والبديع، حيث يظهر النظم كعنصر أساسي في اختيار الكلمات وترتيبها لتحقيق الجمال الفني والتأثير العاطفي.

تناول البحث أيضاً أصول النظرية عند القدماء، حيث برز دور العلماء الكبار مثل عبد القاهر الجرجاني الذي وضع الأسس الأولى للنظم، والزمخشري الذي طوّر النظرية في تفسير القرآن الكريم، وابن قتيبة الذي ركّز على السياق والمعنى. كما تم تحليل إسهامات العلماء الآخرين مثل السكاكي، ابن الأثير الجزري، والقزويني، الذين أسهموا في تعميق فهم النظم وتطويره. ومن خلال معادلة "الانساق" و"الاتساق"، تم شرح كيفية تحقيق التناسق الداخلي بين الألفاظ والمعاني، واستمرارية السياق الذي يربط الأفكار معاً.

بالانتقال إلى المتأخرين والمحدثين، تم استعراض كيف تطورت نظرية النظم لتواكب التغيرات الفكرية والثقافية. فقد أكد ابن رشيق القيرواني على الجانب الإبداعي للنظم، بينما أضاف السكاكي عنصر "القصد" لتحقيق الغرض العام للنص. أما المحدثون مثل محمد مندور وحسين نصار، فقد ركزوا على التناسق بين الألفاظ والأفكار، والوحدة العضوية في النصوص. وفي النقد الحديث، أصبح النظم جزءاً من المناهج النقدية التي تدرس البنية النصية والسياق الثقافي، مما يعكس أهمية هذه النظرية في الفهم الحديث للنصوص الأدبية.

من خلال الأمثلة العملية المأخوذة من الشعر والنثر العربيين، تم توضيح كيفية تحقيق الاتساق والانساق في النصوص. سواء في شعر المعلقة أو في النصوص القرآنية، ظهرت جمالية النظم في اختيار الألفاظ المناسبة وترتيبها بطريقة تعزز المعنى وتزيد من تأثير النص. هذه الأمثلة أكدت أن النظم ليس مجرد ترتيب للكلمات، بل هو فن دقيق يعتمد على الإبداع الشخصي والحس الفني.

تطور نظرية النظم عبر العصور يعكس عمق الفكر النقدي العربي وقدرته على التفاعل مع المتغيرات الثقافية والفكرية. فمن الجرجاني الذي وضع الأسس الأولى للنظرية، مروراً بالمؤرخين الذين طوروها، ووصولاً إلى المحدثين الذين أعادوا صياغتها وفق المناهج النقدية الحديثة، تظل نظرية النظم شاهدة على الإبداع العربي في مجال البلاغة والأدب. في الختام، يمكننا التأكيد على أن نظرية النظم ليست مجرد فكرة نظرية مجردة، بل هي أداة عملية تساهم في فهم النصوص الأدبية بشكل أعمق وأكثر شمولية. فهي تقدم إطاراً شاملاً لتحليل العلاقة بين الألفاظ والمعاني، وتساعد في إبراز الجمال

37 ديوان المتنبي، مرجع سابق: 372.

38 كلیلة ودمنة، ابن المقفع، تحقيق، عبدالفتاح محمد الحلو، دار المعارف القاهرة، 1985م: 34.

الفني والتأثير العاطفي في النصوص. وبفضل الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء المسلمون عبر العصور، أصبحت نظرية النظم جزءاً لا يتجزأ من التراث البلاغي العربي، وستظل ذات صلة وثيقة بالدراسات الأدبية والنقدية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1. الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، قرأ وعلق عليه، وائل بن حافظ بن خلف، دار ابن القيم بالإسكندرية، د/ط.
2. الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
3. أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، 1980م.
4. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي.
5. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مطبعة المدني، جدة، الطبعة الثالثة، 1992م.
6. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، د/ط، 1983م.
7. ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 2004م.
8. ديوان زهير بن أبي سلمى، أعتنى به وشرحه عبدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2005م.
9. ديوان عنتر، شرحه وضبطه وقدم له، علي العسيلي، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.
10. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2003م.
11. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983م.
12. كتاب الحيوان، لعمر بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ.
13. كليله ودمنة، ابن المقفع، تحقيق، عبدالفتاح محمد الحلو، دار المعارف القاهرة، 1985م.
- لسان العرب مادة (نظم).
14. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، 1965م.
15. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.
16. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
17. مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، حققه وقدم فهارسه، عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000م.
18. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل عبد الرازق، دار الطباعة المحمدية القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1983م.
19. النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، الطبعة الثانية، 1965م.